الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
Arab Private Schools Federation

صرخة اليقظة

قمة الدّوحة

هل ستفرز قمّة الدّوحة ولادة نظام أمنيّ عربيّ جديد ضدّ العدوّ المشترك؟

360 KNO SMART SCHOOLING
ADVANCE THROUGH TECHNOLOGY

unicef

UNESCO
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

GenEx
Generational Education Exchange

تمكين TAMKEEN

UNIVERSITY OF VICTORIA
LONDON - UK

AMIEE
American International Education Federation

د. خميس بن عبيد العجمي

رئيس الاتحاد العربي للمدارس الخاصة

رئيس مجلس أمناء مدارس كينو الخاصة بسلطنة عمان

هل ستفرز قمّة الدّوحة ولادة نظام أمنيّ عربيّ جديد ضدّ العدوّ المشترك؟

بتنا في عصر استمرأ فيه أغلبية البشر مشاهد القتل والدّمار والحروب، مشاهد باتت شاشاتنا هي المعبر الوحيد لها، ونقطة الربط لوصول آلام البشرية قاطبة من أطراف الأرض المترامية، فمن أخبار عدوان يوميّ إلى أخبار مجازر وتجويع، إلى قصف وتدمير، فقد باتت هذه طقوس إفطار أغلبنا، ولم تغيّر هذه العناوين طعم الحياة لدى بعضنا، ولا حتّى طعم فنجان القهوة الذي نحتسيه، والأدهى والأمرّ من ذلك كلّه أنّنا قد أصبحنا نرى هجوماً غير مسبوق على بعضنا عبر منصّات التّواصل، إذ قد يصل الأمر إلى التشمّت بمصاب الدّول حتّى الشقيقة منها، ويْ كأنّنا ننسى أنّ عدوّنا الحقيقيّ يفرح بكلّ جُرحٍ نحدثه بأيدينا.

ومن هنا تتكشّف الحياة عن أعمق ما فيها من حقائق ومخاوف تمسّ مختلف بلدان العالم، وفي خضمّ ما يحدث في العالم العربيّ خاصّة، فإنّ هناك المزيد من الحقائق التي تتكشّف هي أيضاً، فقد بات العداون على الأمة العربية روتيناً يومياً للعدو الغاشم، وبات العدو قادراً على اختراق أمننا وسلامة أوطاننا دون أنْ يرفّ له جفن، فهو على يقين بأنّ الأمة العربيّة تفتقر لمنظومة دفاعيّة موحّدة، ممّا سيجعلها لقمة سائغة ومطمعاً سهلاً، ففي فرقتها انكسارها، وفي تباعد منظوماتها الدفاعيّة تشرذم لدفاعاتها الماديّة والمعنويّة، وللأسف فقد استوجب علينا معرفة هذه الحقائق قبل أنْ يعرفها أعداء الأمّة، ولعميق الأسف أيضاً، فنحن على يقين بأنّ ذلك ما يحدث معنا، ونعني فعلياً ما يحدث وما يستوجب علينا فعله ولكنّنا نقف في حالة من التشتّت والحيرة والضياع...

فترانا من مؤتمر لمؤتمر ومن قمّة لقمّة، نشجب وندين ونستنكر، ونتباحث أمور الأمن والأمان، والسّلم والسّلام، وحياة وكرامة الإنسان، وفي نهاية هذه القمم نخرج بالكثير من الأجندات والقرارات، ونتصافح على جمال الفكر الذي قاد لأفكار من شأنها أنْ تحلّ هذه الأوضاع وتعيدها لنصابها الفعليّ، ولكن للأسف فهذه القرارات تبقى حبيسة الصفحات والأحبار...ويزداد التفرّق والبعد بين الأقطار....

وها هو المشهد يتكرّر اليوم، وهذه المرّة على ضفاف الخليج العربي، حيث نترقّب تهيء الدوحة لاستضافة قمّة عربيّة يوم الأحد المقبل، والتي قد تكون مهداً لنشأة بذور نهضة أمنيّة جديدة، أو لتكون مجرّد فصل آخر في سلسلة المؤتمرات التي تبدأ بالآمال الحيّة وتنتهي بالبيانات الجادمة الهامدة...

فالعدوّ الذي استباح حرمات فلسطين، وانتهك قدسيّة القدس، وأزهق أرواح أبناء غزة لسنوات طوال، غذّ خطاه بالاعتداءات المتوالية التي لا تعرف ليلاً من نهار، وطال بها دولاً عديدة كسوريا ولبنان واليمن وتونس، وهو ذاته الذي تجاوز الحدود بأكملها بالأمس، فنراه قد شنّ عدوانه الجبان على "دوحة السلام"، فمن كان يظن أنّ وقاحته وعجرفته وغطرسته ستكون كالسّيل قد بلغ الزّبا؟من كان يتخيّل أنْ يطال طغيانه دولة قطر الشّقيقة التي لطالما حملت راية التّسامح والحوار؟!

فها نحن اليوم نرى الحقيقة عارية، حقيقة هذه الآلة العدوانيّة التي لا تعرف إلاّ لغة القوة، ولا تحترم إلاّ منطق الردع، وإليكم الجزم باليقين:

فما هو آتٍ سيكون أسوأ بكثير إذا ترك هذا العدو بلا عقاب، فصمتنا اليوم هو تشجيعٌ له على تكرار جرائمه غداً في عواصمنا العربية الواحدة تلو الأخرى.

فقد حان وقت المواجهة، وحان وقت توحيد الصفوف، فقد باتت الأمّة العربيّة في موقف أضعف قدرتها على امتلاك رفاهيّة الانقسام والصمت، فإمّا أن نردعه اليوم، أو ننتظر عدوانه الغاشم الذي قد يطرق بصواريخه أبواب أيّة عاصمة من العواصم العربيّة غداً، فنغدو تطبيقاً فعلياً وحيّاً وحاضراً لمقولة:

" أكلت يوم أكل الثور الأبيض"...

فالتّهديدات التي تطال أمننا القوميّ لم تعد تهديدات روتينيّة، فقد اتّسعت مستويات التهديد لتشمل الهجوم الحربيّ بالدبابات والطائرات وصولاً للهجوم الإلكترونيّ والاقتصاديّ وحتّى الإعلاميّ، ممّا يستدعي مع هذا التوسّع، تطوير مفهوم جديد للأمن الجماعيّ، فالأنظمة الأمنيّة التقليديّة المنفردة تعجز عن مواجهة تحدّيات عصر معقّد ومتشابك، ولا حلّ ناجع يُرى في الأفق سوى السّعي نحو تحقيق منظومة أمن عربيّ موحّدة، من منطلق الضرورة الحتميّة لا الترف الفكريّ، فهذه المنظومة هي مقتضى طبيعيّ للمخاض العسير الذي تحياه منطقتنا وهي تعلو صفيحاً ساخناً من التهديدات والتجاوزات الأمنيّة على سيادتها ووجودها...

وهذا الأمن العربيّ المطلوب، هو ليس مجرّد قرارات واتفاقيّات ستبقى طيّ الورق، إنّما هو منظومة أركان متكاملة تبدأ بإستراتيجيّة موحّدة وإطار يحدد الأخطار ويصنف الأولويات، ويضع خططاً للطوارئ والتدخّل السريع، بعيداً عن الاجتهادات الفردية التي أثبتت فشلها، وتتضمّن تعاوناً بين القوى، بإنشاء قوّة عربيّة مشتركة فاعلة وقادرة على التدخّل السّريع، بحيث تمتلك القدرات اللوجستية والتقنية والبشرية التي تمكّنها من تنفيذ مهام الدفاع عن حدود الأمة ومصالحها، ويدعم تلك القوى ذكاء إستراتيجيّ مشترك، من خلال تأسيس مركز عربي موحّد للاستخبارات ينسّق بين أجهزة الدّول العربيّة، ويجمع ويحلّل المعلومات، ويكشف التهديدات قبل وقوعها، ممّا يمكّن الأمّة من المبادرة بدل ردّ الفعل، إلى جانب السعي نحو تحقيق أمن اقتصاديّ عربيّ متكامل كأساسٍ للأمن القوميّ، ووضع آليّات للدّعم المالي المشترك، واستخدام الثروات العربيّة كأداة ضغط إستراتيجيّ في المعترك الدوليّ، ويصاحب ذاك الأمن الاقتصاديّ وجود منظومة أمن إلكتروني سيبرانيّ قويّة، قادرة على مواجهة الاختراقات والهجمات الإلكترونيّة التي تستهدف مقدّرات الدول العربية.

وعلى عاتق هذه المنظومة تقع مهام الحماية والدفاع وبناء الدرع الحصين أمام أعداء الأمّة العربيّة، ففي حالة تحقيقها ستبدأ أسوأ كوابيس العدو المشترك، ولن يهدأ له بال حتّى يمنعنا من تحقيق ذلك الأمل العربيّ المشترك، فسنراه يضع العراقيل لئلا يحدث ذلك التّعاون، وسيزرع التحدّيات في طريق وحدتنا، وسيفقد منطقيّته فيما يقوم به، وسيحاول فعل ما لا يقبله عقل ولا منطق ولا إنسانيّة، وسيقوم بتصعيد حروبه وعداونه وطغيانه، فسنجده بين عدوان عسكري مباشر وحروب بالوكالة تارة، وبين اختراقات إلكترونية وحروب اقتصادية وإعلامية تارة أخرى....

وللأسف، فإنّ ما سيقوّيه ويغذّيه ليستطيع لما أراد وصولاً وجود اختلافات سياسية بين الدول العربيّة من جهة، وتباين الأولويات والرؤى التي تعيق عمليّة التنسيق الأمنيّ بيننا من جهة أخرى، كما أنّ التدخّلات الخارجية التي تسعى لإفشال أيّ تقارب عربي حقيقيّ تشكل تهديداً مستمراً هي الأخرى، فضلاً عن أنّ هنالك بعض الدول العربيّة لديها تحالفات دوليّة قد تتعارض وفكرة وجود نظام أمني مستقلّ، فتبدأ الضّغوطات الدوليّة من هذه القوى الكبرى التي قد ترى في ولادة هكذا نظام تهديداً لهيمنتها على الأمن في المنطقة.

وفي ظلّ تلك الفوضى، تظهر على الساحة العربيّة دولة تستحقّ الاحترام و الإشادة والتقدير على تحاول القيام به من توحيد وجمع لشأن الأمّة العربيّة، ألا وهي دولة قطر الشقيقة، فقد كانت تجربتها في الوساطة والدبلوماسية الهادئة، وقدرتها على بناء جسور التواصل بين الأطراف المختلفة، نقاطاً تحسب لصالحها لتكون المرشح المثاليّ لاستضافة هكذا قمّة محوريّة، فالدور القطري في الأزمات الإقليميّة المختلفة أثبت أنّ الدبلوماسيّة الذكيّة يمكنْ أن تحقّق ما تعجز عنه القوّة العسكريّة أحياناً.

ومن جانب آخر فإنّ الضغط الشعبيّ العربيّ والإسلاميّ غير المسبوق للمطالبة بموقف موحّد وفعّال يمنح القادة شرعيّة سياسيّة حقيقيّة لاتّخاذ خطوات جادّة، فالشعوب العربيّة تدرك مدى أهميّة دورها ووجوب مساندة قادتها والوقوف معهم أمام التهديدات الخارجيّة، فالتهديدات من عدوّ مشترك يتطلّب رداً مشتركاً لا حلول فرديّة، فقد ولّى عصر الفرديّة إلى غير رجعة، ولا موقع له على خارطة التحدّيات والتّهديدات التي تطال كيان الأمّة العربيّة وأمنها...

ومن الناحية الواقعيّة، ورغم ضعف احتمالات إعلان قمة الدّوحة عن نظام أمنيّ عربيّ متكامل بالمستوى المثالي، إلاّ أنّها تظل فرصة حاسمة لتوحيد الموقف العربي وبلورة ردٍّ موحّدٍ أمام غطرسة العدو، فالعدوّ لا يفهم إلاّ لغة القوة، ولهذا فإنّ هناك حزمة من الإجراءات التنفيذيّة السريعة والممكنة، والتي إنْ اتّخذتها الدّول العربيّة بشكل جماعيّ، فستُلحق ضرراً ملموساً بمصالحه، وترسل في الوقت ذاته رسالةً واضحةً لا لبس فيها إلى كلّ من يدعمه بأنّ:

الأمّة العربيّة ما تزال قادرة على حماية أمنها ومقدراتها، ولها كلمتها الموحّدة التي يُحسب لها ألف حساب....

وبعد،

فإنّ نجاح قمّة الدوحة في أنْ تكون "لحظة تأسيسيّة" حقيقيّة مرهون بإجابة سؤال محوريّ لا ثاني له:

هل ستتغلّب الإرادة السياسيّة الحقيقيّة على إرث الخلافات والمصالح الضّيقة والتّحالفات الخارجيّة المقيّدة؟

وهذا التساؤل ليس بأمر نظريّ يناكف الفكر، إنّما هو معادلة أساسيّة ستحدّد مصير أيّ حلم بنظام أمنيّ عربيّ-إسلاميّ موحّد، فالتاريخ يعلّمنا أنّ الأمم العظيمة تولد من رحم الأزمات الكبرى، لكن فقط عندما تتوافر الإرادة الحقيقيّة للتّغيير والتّضحية من أجل المصلحة العليا.

فقمّة الدوحة تمثّل لحظة تاريخيّة فارقة لا تتكرّر في حياة الأمم، وهي بمثابة لحظة يقظة أمام الخطر الوجودي المحدّق بنا، وبمنزلة زناد الأمان للأنظمة الأمنية القويّة، التي تتشكّل عندما تدرك الشعوب أنّ بقاءها مرهون بوحدتها.

فاليوم، نحن – كأمّة عربيّة – نقف أمام خيارين لا ثالث لهما:

إما اليقظة من سبات طويل وإعادة تشكيل الذات وفق متطلّبات العصر وتحدّياته...

أو استمرار في دوامّة التشرذم والضّعف التي قد تكلّف الأمّة وجودها بحدّ ذاته.....

والتّاريخ لن يمنحنا الفرصة أكثر من مرّة، والأمم التي تفوّت لحظات اليقظة ستدفع الثمن غالياً لعقود طويلة، فالقادة اليوم أمام مسؤوليّة جسيمة وخيار مصيري؛ فإمّا أنْ يكونوا ممّن ساهموا بتأسيس نظام أمني جديد حافظ على كرامة الأمة وأمنها ووجودها، وفعّلوا أدوات هذا النظام الأمنيّ الاقتصاديّة والاجتماعيّة والتاريخيّة، باستخدام الموروث المستقى من القوّة البشريّة والثقافيّة والمرجعيّات الدينيّة والإسلاميّة والإرث التّاريخيّ، والتي بمجملها تشكّل وشائج المنظومة الأمنيّة الحقيقيّة لهذا النّظام، أو ممّن أضاعوا آخر فرصة حقيقيّة لوحدة عربيّة لأمّة عملاقة كانت على مرمى حجر من تحقيقها...

فالوقت ليس في صالحنا، والتاريخ لن يرحمنا إذا استمرّت فرقتنا، فكان منّا وفينا وبأيدينا بذور خلافنا الذي لن يزيدنا إلاّ ضعفاً ولن يورثنا إلاّ هزيمة.. والعدوّ منتظر لنا...والتحدّيات تتفاقم هناك وهنا...والفرصة قائمة لا محالة بجعل قمّة الدّوحة صرخة اليقظة التي تنتظرها الأمّة منذ عقود، لا عدّها حلقة أخرى في مسلسل طويل من الفرص الضائعة والأحلام المؤجلة..

وهنا وفي هذه اللحظة، تظهر الحاجة الملحّة لإحداث إرادة سياسية مزلزلة تنبع من قادة مدركين بأنّ الوحدة ليست مجرّد خيار بل ضرورة حتميّة وحيدة للبقاء والكرامة في عالم لا يرحم الضعفاء، ولأخذ العدالة أخذاً لا مهادنة فيه، لكونها لا تمنح بمجرد المطالبة بها، فعدالة الشعوب تؤخذ بالإرادة والإستراتيجيّة والصراعات الإنسانيّة المستميتة لتحقيقها...

وختاماً، وفي بضعة أسطر تحمل صادق الدعاء وخالصه، وبقلوب مؤمنة وموحّدة، نرفع أكفّ الضراعة إلى اللّٰه عزّ وجلّ أنْ يوفّق قادتنا العرب، ويلهمهم الصواب في القول والعمل، ويشرح صدورهم للحكمة والعدل، ويجعلهم خير حامٍ لأمانة الأمة ومصالحها...

اللهمّ كنْ لهم عوناً ومعيناً، واجعلهم سبباً للخير والصلاح، ووفّقهم لاتّخاذ القرارات التي تحقّق الأمن والاستقرار والازدهار لشعوبهم....

اللهمّ ألّف بين قلوبهم، ووحّد صفوفهم، واجعل الشعوب العربيّة سنداً لهم في الحق، وعوناً لهم على حمل هذه الأمانة العظيمة....

اللهمّ احفظ البلاد العربيّة والإسلاميّة من كلّ مكروه، وارزقها القوّة والوحدة والعزّة في الدنيا والآخرة....

اللهم آمين...